الكتابة والسلوك الكتابي: دراسة تحليلية نقدية

لافي ماجد الحربي*

* حصل على دكتوراه الفلسفة في علم اللغويات من بريطانيا عام 1991.
يعمل مدرساً بقسم اللغة الإنجليزية ـ جامعة الكويت.

1026-9576/98/16/64/ 102 - 129

الملخص

تبحث هذه الدراسة التحليلية النقدية في التعريف بالكتابة على أنها سلوك ونتاج لغوي، وفي معرض هذا البحث تجيب الدراسة عن التساؤلات التالية: ما السلوك الكتابي؟ وما مدى تميز السلوك الكتابي عن باقي السلوكيات اللغوية؟ كما تبحث في أهمية الكتابة كسلوك تواصلي وفي مراحل تطور السلوك الكتابي وعلاقته بالإبداع والنقد، وتنتهي إلى تبيان أهم العوامل المؤثرة في تحسين مستوى الأداء الكتابي.

الكتابة هي سلسلة متناغمة من العمليات الذهنية التي يولفها الكاتب خلال سلوكه الكتابي. هذه النظرة وإن غلب عليها الطابع السيكولوجي إلا أنها تجمع بين (1) من يرى في الكتابة وسيلة يحقق من خلالها الكاتب غايةً بلاغية (method)، وبين (2) من يرى فيها ناتجًا لغويًا (product) يتحقق من خلال مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مفردات وتراكيب لغوية، والكاتب هو من يطوع هذا التفاعل لخدمة الغرض البلاغي.

لا يوجد نص مكتوب دون أن يكون حاملاً لمعلومة أو دالاً على فكرة، لذلك يمكننا القول بأن الكتابة تبدأ منذ اللحظات الأولى لنشأة التداعي البلاغي، وتمر بمراحل تطور متعددة يسلك خلالها الكاتب سلوكًا يُعرَف بالسلوك الكتابي. عندما تتطور الأفكار وتتبلور عناصر الموضوع يبدأ حينئذ الكاتب بالتفاعل مع حصيلته اللغوية والثقافية محاولاً إخضاع المفردات والتراكيب اللغوية والأنماط الثقافية لخدمة مقتضيات التداعي البلاغي. ولا يتفاعل الكاتب مع إخراج النص دفعةً واحدة، بل يتوزع هذا التفاعل على عدة مراحل، تبدأ بمرحلة انتقاء المفردات، ومرورًا بنظم التراكيب والجُمَل، بعدها تأتي مرحلة بناء الفقرات. وحتى يخرج نص متناسق الأفكار والمعلومات ومتلائم لغويًا وثقافيًا مع المحيط الكتابي لابد لهذا النص بأن يمر من خلال مراحل مراجعة وتدقيق. تنقسم مراحل مراجعة النص إلى نوعين هما: (1) المراجعة المتصلة (constant monitoring) و(2) المراجعة النهائية (editing/revising)، ومع أن كلاً منهما يمثل سلوكًا كتابيًا منفصلاً بحد ذاته إلا أنهما معًا يؤديان دورًا تكامليًا في الوصول بالنص إلى أقرب نقطة من الكمال.

تنشأ النصوص المكتوبة ــ حالها في ذلك حال نصوص الأحاديث ــ في محيط لغوي وثقافي معين يضم فيما بين عناصره أعرافًا وتقاليد تنظم العلاقة بين طرفي النص من جهة وبين كل منهما على حدة أو كليهما مجتمعين وبين بقية عناصر المحيط الكتابي، وتشكل هذه الأعراف والتقاليد أنساقًا وقواعد لغوية وثقافية تنظم السلوك الكتابي. ومن هنا ذهب جماعة من اللغويين المشتغلين بعلم اللغة الاجتماعي إلى تعريف السلوك الكتابي على أنه الجمع بين صناعة المعنى (meaning-making) وصناعة النص (discourse-producing). كما أن للسلوك الكتابي محيطين أحدهما عام (universal) يتحدد من خلاله الإطار العام للنسق الكتابي، وآخر خاص أومحلي (local) تحدّده السلوكيات الكتابية في المجتمع المحلي للاتصال، ويكون ذا دور مكمِّل للمحيط العام من حيث تحديد قواعد النسق الكتابي وضبطها.

التمهيد

ورد في بعض الدراسات التقليدية في علم اللغة الاجتماعي وعلم اللغة السيكولوجي تعريفٌ بالكتابة باعتبارها نتاجًا لغويًّا (product)، ومع أن مثل هذا التعريف يأخذ أشكالاً وصيغًا متعددة إلا أنه يظل قاصراً عن التعريف بالكتابة كسلوك لغوي له من الخصائص ما يميزه عن باقي المنظومة اللغوية [1]. والسبب في رأينا يرجع إلى عدة أمور من أبرزها: (1) قصور في بيان العلاقة التي تربط بين السلوك الكتابي والتفكير، و(2) قصور في بيان علاقة الإبداع بالسلوك الكتابي، و(3) قصور في ربط السلوك الكتابي بالخبرات الثقافية واللغوية المتراكمة لدى الكاتب ومتلقي النص الكتابي،، بالإضافة إلى (4) قصور في قياس مدى تفاعل كل من الكاتب مع ما يملكه من خبرات ثقافية ولغوية من جهة ومع محيطي الكتابة المحلي والعام من جهة ثانية. ومع أن هذه الأمور ما هي إلا أمثلة لأبرز الاعتبارات التي يتوجب الأخذ بها عند تعريف الكتابة والسلوك الكتابي، إلا أن البحث عن تعريف شامل للكتابة والسلوك الكتابي لابد له من أن يتخطى حدود النظرية التقليدية التي توصف من خلالها الكتابة باعتبارها نتاجًا لغويًا ليشمل التعريف بالكتابة بأنها سلوك ونتاج لغوي يتفاعل من خلاله كل من: (1) الكاتب وما يحمله من خبرات لغوية وثقافية و(2) رسالة النص (message) ومحيطاها المحلي (local) والعام (universal) و(3) متلقي النص وما يحمله من خبرات لغوية وثقافية، بالإضافة إلى مدى تفاعله مع رسالة النص من جهة والكاتب من جهة ثانية.

الغرض من الدراسة

تجيب هذه الدراسة أثناء محاولة الوقوف على تعريف شامل للكتابة والسلوك الكتابي على التساؤلات التالية: (1) ما السلوك الكتابي؟ و(2) ما مدى تميُّز السلوك الكتابي عن باقي السلوكيات اللغوية؟ و(3) ما المقصود بالمحيط الكتابي؟ و(4) ما أهمية الكتابة كسلوك تواصلي؟ و(5) ما أنواع الكتابة؟ و(6) ما مراحل تطور السلوك الكتابي؟ و(7) ما علاقة الكتابة بالإبداع والنقد؟ وما أهم مقومات الأداء الكتابي المتميز؟ و(8) ما العوامل المؤثرة في تحسين مستوى الأداء الكتابي؟

وقبل الشروع في الإجابة على أي من هذه التساؤلات التي سوف نتطرق بالبحث والتحليل لكل منها على حدة، دعونا نتعرف ــ ولو بشكل عابر ــ على تلك النظرية اللغوية التقليدية التي عادةً ما يُصاغ من خلالها تعريف تقليدي للكتابة. حيث يربط جمهور من النحويين التقليديين بين المعنى واستيفاء شروط الصواب الصرفي والنحوي (well-formed structure)، بحيث لا يتم المعنى ـــ حسب هذه النظرية التقليدية ــ إلا بعد تمام قواعد الصرف والنحو. هذا البُعد الافتراضي للمعنى لا يتفق ونظرية الاتصال الحديثة (communication theory) التي تُعرِّف اللغة بأنها وسيلة اتصال، بل تَعتَبر اللغة وسيلة الإنسان الأولى للاتصال اللغوي والثقافي مع أبناء مجتمعه. وتتكوَن عناصر الاتصال اللغوي من الرسالة والمرسل والمتلقي، ولكل من هذه العناصر قواعدها التي تنظم علاقاتها الداخلية من جهة، وعلاقاتها التبادلية مع باقي عناصر المنظومة اللغوية من جهة أخرى. وفي رأينا أن أية محاولة للتعرف على الكتابة ــ باعتبارها ناتجًا وسلوكًا لغويًا له ما يميزه عن باقي المنظومة اللغوية ــ لابد أن تأخذ بهذه الوظيفة الاتصالية للغة. لذلك فإننا نرى أن الكتابة كسلوك لغوي ونتاج لغوي لابد أن تشتمل على قواعد تنظيم الرسالة ــ القواعد اللغوية كالصرف والنحو والأسلوبية ــ ومنظومة السلوكيات اللغوية والثقافية لكل من المرسل والمتلقي. وبعبارة أخرى يمكننا التأكيد على أن السلوك الكتابي هو ناتج اتحاد طرفي معادلة صناعة النص (text-producing) وصناعة المعنى (meaning-making).

السلوك الكتابي

يرى كل من فلور Flower وهيز Hayes[(2)] أن الكتابة عبارة عن سلسلة متناغمة من العمليات الذهنية التي يولفها الكاتب خلال سلوكه الكتابي. هذه النظرة وإن غلب عليها الطابع السيكولوجي إلا أننا نعتبرها جامعةً لسواها من النظريات المتعلقة بالكتابة، فهي تجمع بين (1) من يرى في الكتابة سلوكًا يحقق من خلاله الكاتب غايةً بلاغية، وبين (2) من يرى في الكتابة ناتجًا لغويًا يتحقق من خلال مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مفردات وتراكيب لغوية. والكاتب هو من يجيد التفاعل مع هذه العلاقات ليطوعها لخدمة الغرض من الكتابة.

جاءت ــ في بادئ الأمر وبحسب التسلسل التاريخي ـــ النظرية الوصفية التي من خلالها عُرفَت الكتابة بأنها ناتج لغوي. وطبقًا لهذه النظرية الوصفية تنقسم مراحل

الإنتاج الكتابي إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل الكتابة ومرحلة الكتابة نفسها. ويقصد بمرحلة ما قبل الكتابة تلك المرحلة التي يتم من خلالها إعداد خطة الكتابة، أما مرحلة الكتابة نفسها فإنها ذلك السلوك الذي يقوم من خلاله الكاتب برسم الكلمات على الورق. وعند تطور النظرية الوصفية أضيف إليها مرحلةٌ ثالثة سُمِّيت مرحلة ما بعد الكتابة أو «مرحلة المراجعة» بحيث يقوم من خلالها الكاتب أو من ينوب عنه بمراجعة النص وإدخال التهذيبات اللغوية والأسلوبية اللازمة لإظهار النص بشكل أكثر كمالاً. وباختصار فإن النظرية الوصفية لا تتعدى وصف النتاج اللغوي من عملية الكتابة، باعتباره دليلاً كافيًا لإيضاح جوانب السلوك الكتابي كافة. ومن بين ما يؤخذ على النظرية الوصفية هو غياب البحث في تلك السلوكيات التي تحدد كلا من خطة الكتابة ومتابعة تنفيذ عناصر الخطة من جهة، ومدى التحقق من الناتج الكتابي ومطابقته للمعايير اللغوية والأسلوبية والثقافية وتحقيق الهدف من الكتابة من جهة أخرى.

ترتكز النظرية الذهنية للكتابة كما يراها فلور وهيز على أربعة عناصر رئيسة هي:

1 ـ السلوك الكتابي، وهو مجموعة متناغمة من السلوكيات التي يؤديها الكاتب خلال مراحل الكتابة.

2 ـ تناغم هذه السلوكيات في إطار تراكمي يفسح المجال لأي منها للاندماج مع الأخرى في أي مرحلة من مراحل تطور السلوك الكتابي.

3 ـ يكون لكل سلوك كتابي هدف مرحلي محدد، ومرتبط ارتباطًا وثيقًا وموجهًا من قبل مجموعة الأهداف المتراكمة لدى الكاتب التي تشكل في مجملها الهدف العام من الكتابة.

4 ـ يقوم الكاتب بتنسيق أهداف الكتابة على خطين متوازيين، أولهما تحديد أهداف رئيسة وأخرى ثانوية مستلهماً إياها من الغرض البلاغي العام من الكتابة، وثانيهما إدخال التهذيبات اللازمة على أي من الأهداف الرئيسة أو الثانوية، أو استحداث أهداف جديدة في ضوء ما يستجد خلال مراحل تطور السلوك الكتابي.

سوف نتطرق وبشيء من التفصيل للعنصرين الأخيرين في مواقع مختلفة من هذه الدراسة، لذلك سوف نركز فيما يلي على العنصرين السابقين ـ الأول والثاني ـ بغية توضيح السلوك الكتابي.

ينقسم السلوك الكتابي طبقًا للنظرية الذهنية إلى ثلاثة أجزاء ـ انظر الشكل (1) ـ لكل منها خاصية تميزه عن سائر الأجزاء، وتتفاعل هذه الأجزاء مع بعضها بشكل يسمح لأي منها بأن يتأثر ويؤثر في الأجزاء الأخرى، ناقلاً عنها ومعطيًا إياها في أية مرحلة من مراحل تطور السلوك الكتابي، ابتداء من التداعيات البلاغية لموضوع الكتابة، وانتهاء بمثول النص بين يدي القارئ. هذه الأجزاء هي (1) محيط الكتابة ويندرج تحته كل ما لا علاقة له بالكاتب، و(2) خبرة الكاتب، و(3) العمليات الكتابية.

ينشأ السلوك الكتابي منذ اللحظة الأولى لطرح التساؤل البلاغي الذي يكون عادةً على شكل أمر أو سؤال أو خاطرة. وبالطبع فإن دواعي السلوك الكتابي تتعدى هذه الأمثلة لتشمل على سبيل المثال لا الحصر (انظر كذلك أنواع الكتابة لاحقًا): الكتابة «الإملائية» مثل ملء الاستمارات وإعداد القوائم والجداول، و«الرقمية» مثل رصد الإحصائيات والمعادلات الرياضية، و«الإخبارية» مثل كتابة التقارير والمقالات الصحفية، و«الإبداعية» مثل كتابة الشعر والنقد والقصة، و«الوصفية» مثل كتابة موضوع إنشائي يصف من خلاله التلميذ رحلة المدرسة إلى شاطئ البحر أو حديقة الحيوان... الخ. يأتي التعامل مع التداعيات البلاغية في المقام الأول لأي سلوك كتابي حيث يتطلب هذا التعامل تحديدًا دقيقًا: (1) لموضوع الكتابة واستجابةً للتساؤل البلاغي و(2) هوية متلقي النص، و(3) الغاية المراد تحقيقها من الكتابة. إن الإجابات المحددة لهذه التداعيات لا يمكن بلوغها ما لم يتمكن صاحب مشروع الكتابة نفسه من معرفة المحيط الذي يُراد الكتابة من خلاله، وفهم التساؤل المطروح فهمًا لا لبس فيه، وتصور هوية متلقي النص، والزمان والمكان اللذين يتم من خلالهما التواصل الكتابي، بالإضافة إلى الهدف الـمُراد بلوغه من مشروع الكتابة، إذ لابد من تحديد هذه الأمور الداخلة في صُلب الهدف من الكتابة تحديداً يحولها من أمور مبهمة إلى خطوات يسيرة الفهم والمسلك. وبقدر النجاح الذي يحققه صاحب مشروع الكتابة في فك رموز التداعيات البلاغية يملك مقومات النجاح في بلوغ هدفه من الكتابة بيسر وسهولة.

وهنا لابد من الإشارة إلى أنه بقدر ما ينمو النص الكتابي ويتطور، فإن هذا التطور يُملي إسقاطات على التداعيات البلاغية تحدد بدورها هدف الكتابة، حيث إنه من الواضح وجود علاقة تبادل بين ما يتم تدوينه على الورق من عبارات ومعلومات

وأفكار خلال عمليات البناء الأفقي والرأسي للنص المكتوب (انظر مراحل بناء النص لاحقًا) وبين تهذيب الأهداف المرحلية وتطويرها. فكل عبارة تحدد العبارة التي تليها وكل فقرة تحدد الفقرة التالية وكل معلومة تحدد المعلومة التي تليها وكل فكرة تحدد ما يليها من أفكار وهكذا حتى يأتي النص على نهايته. ولخبرة الكاتب المسبقة ومعرفته بموضوع الكتابة وتمرسه على إعداد خطط الكتابة دور أساسي في تهذيب هذه الإسقاطات.

كما تلعب مفردات خبرة الكاتب دورًا مهمًّا في مدى تطور السلوك الكتابي واتجاهاته. ومفردات هذه الخبرة هي الإلمام المُسبق بالموضوع المُراد الكتابة حوله، والخبرات اللغوية والثقافية المتراكمة التي تمكن الكاتب من اختيار النسق الكتابي المناسب لموضوع الكتابة، وتحديد هوية متلقي النص، ومدى التمرس في رسم الأهداف الرئيسة والمرحلية وتهذيبها أو إعادة ترتيبها كلما اقتضت الحاجة البنائية للنص.

أما الجزئية الثالثة في السلوك الكتابي فهي تلك المتعلقة بالعملية الكتابية نفسها (writing process)، وتبدأ عملية الكتابة ـ كما أسلفنا ـ منذ تدوين أفكار الموضوع الأولية (نشأة فكرة الكتابة)، ومرورًا بترجمة هذه الأفكار على شكل مفردات لغوية وعبارات وجُمَل وفقرات مرسومة على الورق (مرحلة بناء النص)، وانتهاءً بالتقييم التقويم لما تم تدوينه ضمن مراحل (المراجعة) المختلفة بغية تحقيق أفضل للهدف من الكتابة.

يبدأ الكاتب بتدوين المعلومات التي ينوي إدراجها ضمن محتويات النص المشروع في كتابته، وتسمى مرحلة «التخطيط»، حيث يقوم الكاتب خلالها بتسجيل أدق المعلومات المُراد تضمينها في تلك الشبكة المتداخلة من الأفكار التي تشكل في مجملها عناصر الموضوع. وتبدأ عملية التسجيل هذه باسترجاع معلومات من الذاكرة، أو استخراجها من مصادر خارجية، مثل استخراج معلومات معجمية أو رقمية أو ما إلى ذلك، وكما سوف نوضح لاحقًا فإن عناصر هذا الكم المعلوماتي تأتي مبعثرة في بادئ الأمر، ويعود السبب في ذلك إلى أن عملية الاسترجاع ـ أو الاستخراج ـ تكون نفسها غير منظمة بحيث يتم تدوين المعلومات بحسب أولوية ورودها، ومن هنا جاءت حاجة الكاتب الملحّة لتنظيم هذه المعلومات والأفكار بشكل لوجستيكي يضفي عليها نسقًا متكاملاً من المعنى يحقق في النهاية الهدف المقصود من الكتابة.

يلي ذلك المرحلة التي يتم خلالها ترجمة هذا النسق المتكامل من المعلومات والأفكار إلى مفردات وعبارات لغوية. وتستدعي مرحلة الترجمة هذه وجود قدرة متطورة لدى الكاتب تمكنه من تطويع مفردات اللغة وتراكيبها لخدمة الغرض من الكتابة. ومن نتائج هذه المرحلة أن البعض يطلق صفات مثل «كاتب جيد» و«كتابة جيدة» على ذلك النتاج الكتابي الذي يكون قريبًا من توقعات القارئ واستنتاجاته، على حين توصف كتابات أخرى بأنها غير جيدة أو بأنه كاتب غير موفق، وذلك عندما يكون النتاج الكتابي على خلاف توقعات القارئ. ولا يمكن بالطبع اعتبار القدرة البلاغية للكاتب وحدها مسؤولة عن إضفاء صفة القبول أو عدمه على النص المكتوب. فقد يكون كاتب ما ذا قدرة بلاغية جيدة ولكنه قد أخفق ذات مرة في إخراج نص مقبول، وذلك بسبب عدم فهمه للهدف المُراد تحقيقه من الكتابة نفسها، وقد يتسبب عدم الفهم هذا في الإخفاق في ترجمة الأهداف إلى أفكار، عندئذ تأتي عبارات النص سليمة ومقبولة من حيث سياقها اللغوي، ولكنها لا تحمل معنى محدداً أو معلومات وأفكاراً يمكن للقارئ الوقوف عليها بيسر وسهولة، لذلك قد يحكم القارئ على مثل هذا النص بالفشل. ومن أبرز مسببات حكم القارئ على النص المكتوب بالفشل هي أن يهمل الكاتب ــ جهلاً أو تجاهلاً ــ تلك العلاقة التي تربطه بالقارئ عن طريق النص. ومثال ذلك أن نستمع إلى دراسة علمية تلقى على مسامعنا من فوق منصة منتدى علمي، بحيث نواجه صعوبةً في متابعة ما تحمله من معلومات وأفكار وآراء، ولا ترجع هذه الصعوبة في فهم ما جاء بتلك القراءة الجهرية إلى سرعة الإلقاء وحدها ــ فكثير من المتحدثين سريعو الإلقاء ومع ذلك نفهم معظم ما يتفوهون به أو جميعه ـ كما أنها لا ترجع إلى إصرار «القارئ» على حشد كم كبير من المعلومات والأفكار والآراء في فترة زمنية وجيزة ـ مع ما لذلك من تأثير سلبي على محتوى رسالة النص، بل إن السبب الحقيقي وراء إخفاقنا في المتابعة الكاملة لمحتوى تلك القراءة الجهرية يكمن في أن آذاننا تحاول ـ وإن كانت عاجزة ـ أن تقرأ مادة علمية مكتوبة.

تأتي مرحلة المراجعة (editing/revision) عادةً ضمن المراحل النهائية من عملية الكتابة، وكما سوف نوضح لاحقًا، يقوم الكاتب خلال هذه المرحلة بإجراء سلسلة من التقييمات والتقويمات لأجزاء متفرقة من النص بغية الوصول بالنص إلى أقرب درجات الكمال.

1) : يوضح العلاقة بين عناصر السلوك الكتابي Flower & Hays, 1981:370

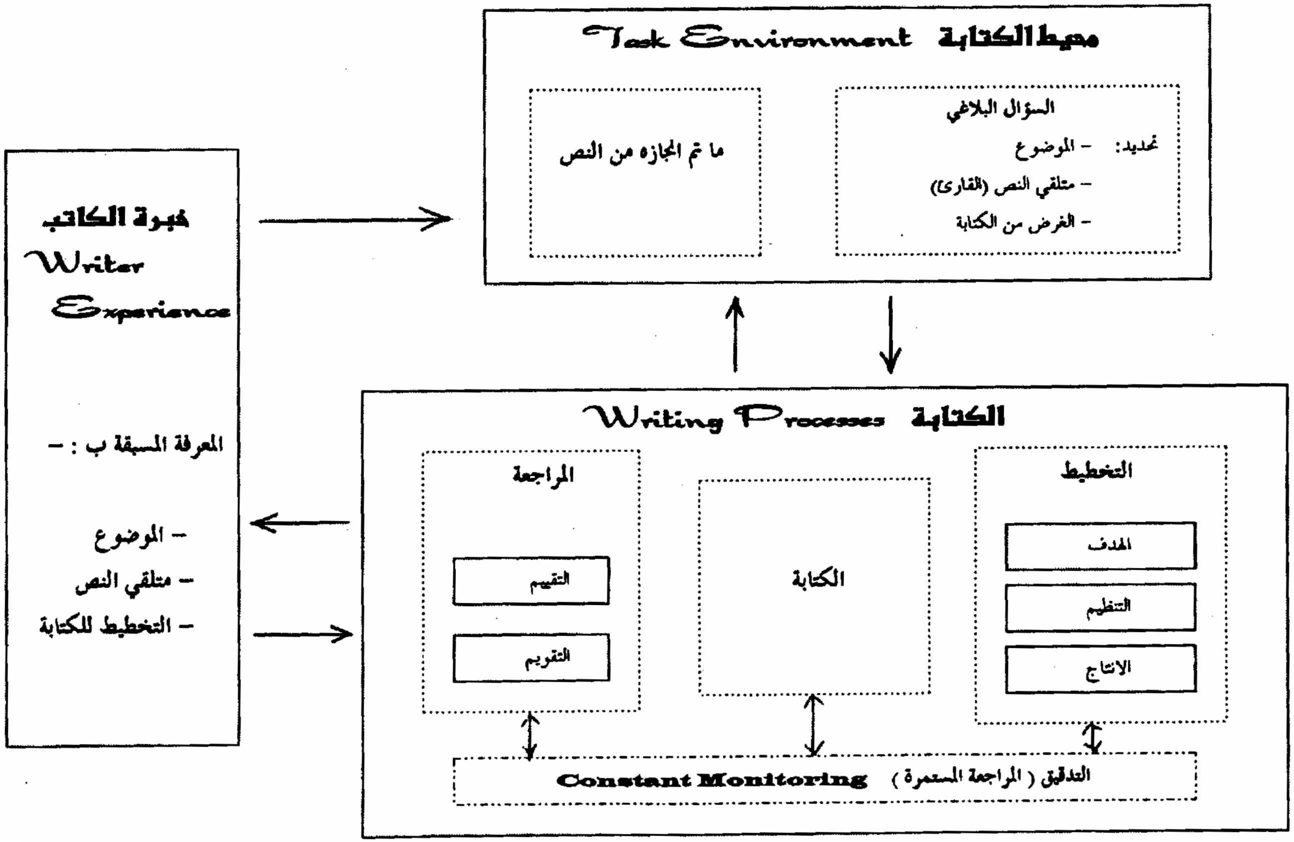

الكتابة والمحادثة

لابدّ هنا من استدراك بعض ما يميز الكتابة عن باقي السلوكيات اللغوية، كالمحادثة التي هي الوجه الآخر للكتابة باعتبار أن اللغة إما مكتوبة وإما منطوقة. وبما أن إجراء مثل هذه المقارنة ليس هدفًا في حد ذاته لوقوعه خارج دائرة البحث في دراستنا هذه، لذا سوف نحصر هذه المقارنة في بعض ـــ وليس كل ـــ الجوانب ذات العلاقة المباشرة في إبراز أهمية الكتابة باعتبارها سلوكًا ونتاجًا لغويًا، بالإضافة إلى التدليل على أنها ذات أنساق لغوية وأنماط سلوكية تختلف في مجملها عن المحادثة. فإذا اعتبرنا أن الكلام يمثل لغة المحادثة ـ اللغة المنطوقة أو الشفهية أو المشافهة ـ وأن الكتابة تمثل اللغة المرسومة، فإنه لابد من تعريف كل منهما على حدة. الكلام سمة من سمات الكائنات الحية، فلا يخلو نوع من أنواعها من إحداث أصوات أو حركات تستخدم للاتصال اللغوي بين أفرادها. وتختلف بالطبع القدرة الكلامية بمقدار ما تتمتع به أنواع الكائنات من أنظمة صوتية وسمعية تمكنها من إصدار الأصوات وتمييزها، بالإضافة إلى ما تمتلك من قدرة ذهنية للربط بين الصوت إصداراً وسمعًا والمعنى ضمنًا وصراحةً. لابد هنا من الإشارة إلى أن تاريخ البشرية يمدنا بمعلومات تفيد بأن هناك لغات منطوقة عديدة تتفاهم من خلالها مجموعات بشرية في محيط لغوي محدّد، وذلك قديم قدَم تاريخ البشرية نفسها، أما الكتابة فهي حديثة الاختراع إذا ما قيست بالكلام ولا تعتبر عاملاً مشتركًا بين جميع الكائنات الحيّة، بل يمكننا التأكيد بأنه ـ حتى بين اللغات البشرية الحيّة ـ لا تزال هناك لغات منطوقة عند بعض قبائل أفريقيا مثلاً لا يوجد لها نظام كتابي دقيق بعد. ولقد دلت الدراسات الإثنوجرافية على أن أقدم الأشكال والرسوم الدلالية كانت مستخدمة منذ ما يقارب 3000 عام، وقد تطورت هذه الرسوم لتدل على حروف وكلمات، ونتج عنها لغات منها ما اندثر أو تحول، ومنها ما تطور وتفرع لينشأ عنه بعض من اللغات الحيّة المستخدمة في الوقت الحاضر[3].

يميل الكثير من اللغويين أتباع النظرية التوليدية وفي مقدمتهم اللغوي التطبيقي المعروف ستيفن كراشن Steven Krashen إلى الاعتقاد بأن الإنسان يولَد وهو على استعداد فطري لاكتساب اللغة ـــ لغة المحادثة ـــ على اعتبار خلوه من عيوب في النطق

والسمع والفهم، وجُلُّ ما يحتاجه المولود هـو الانضمام والعيش في محيط لغوي لكي يصبح قادرًا على استخدام لغة محيطه استخدامًا شاملاً يفي بجميع أغراض الاتصال اللغوي [4]. وهذا الاعتقاد ينطوي على (1) أن الكتابة سلوك لغوي مُكتَسَب بينما الكلام هو نتيجة حتمية لاستعداد فطري، و(2) أن الكلام سلوك يُكتَسَب بشكل فطري، بينما الكتابة سلوك يتم تعلمه بواسطة مؤثِّرات خارجية مثل المعلم والكتاب والمنهج وغيرها من أدوات تهذيب السلوك الكتابي وتطويره.

أما من حيث اختلاف أنواع النصوص فإن النص المكتوب يُراد له أن يُقرأ، بينما النص المنطوق، يُراد له بطبيعة الحال أن يُسمَع. ولهذا يختلف النص المكتوب من حيث المفردات والتراكيب اللغوية والسياق العام ـ بما فيها العلاقة بين وحدات المعنى ـ عن نص المحادثة. فبينما نستطيع عند قراءة النص المكتوب التحقق من المفردات والتراكيب والتنقل بين وحدات المعنى، سواء بالتحكم في سرعة القراءة أو التوقف عند مفردة أو عبارة معينة بقصد استيضاحها، أو استدراك ما ورد في السطرين السابقين مثلاً أو حتى الفقرة السابقة، لا نستطيع بالطبع أن نقوم بهذه السلوكيات «القرائية» عند الاستماع إلى نص منطوق، لأن النص المنطوق تحكمه سلوكيات لغوية تختلف عن تلك التي تحكم النص المكتوب. فعند التأكيد على معنى معين، مثلاً، يلجأ المتحدث إما إلى تغيير في نبرات الصوت لإبراز المعنى المقصود أو إلى إعادة اللفظ أو العبارة على مسامع الحاضرين أو إلى تكرار المعنى مستخدمًا ألفاظًا وعبارات جديدة، ناهيك عن الإمكانية المتاحة للمتحدث للتكيف مع الظروف الزمانية والمكانية للحديث وذلك باستخدام أساليب لغوية وأخرى غير لغوية تمكِّنه من السيطرة على وحدات المعنى [5]. نعم، يمكننا، إلى حدٍّ ما، التدوين المسبق لنص يُراد إلقاؤه على مسامع حضور ندوة ما، وهذا ما يُطلَق عليه «نص مكتوب ليقُرَأ جهرًا» أو بتعبير أدق «نص مكتوب أصله كلام»، وهذا النص بالطبع يختلف عن نص لغة الكتابة، فلغة المحادثة ـ حتى وإن سَبَقَ إعدادها ـ تمتاز أولاً باستخدام أسلوب المخاطبة المباشرة، وإصدار أجزاء من المعنى في الرسالة المنطوقة على شكل علاقة تبادل بين المتحدث والمستمع، ويتجلى ذلك في الاستخدام الأوسع ـ إذا ما قورن بالكتابة ـ لضمائر المخاطبة، وثانيًا الاستعانة

بالمحيط المحلي للمحادثة والتحكم بكل ما يُمليه هذا المحيط على كل من النص والمستمع والمتحدث بغية خدمة رسالة النص.

في عام 1987 قام كل من Tannen وChafe [6] بدراسة استعرضا فيها 262 بحثًا وكتابًا بغرض رصد العلاقة بين الكتابة والمحادثة، وقد استطاعا التوصل إلى أن الكتابة تمتاز بالسمات التالية:

1 ـ استخدام أشمل للمفردات والعبارات.

2 ـ استخدام كثير من المفردات والتراكيب ذات القوة التعبيرية البلاغية التي عادةً لا ترد في سياق الحديث.

3 ـ استخدام التراكيب الصرفية والنحوية بشكل دقيق، وقلَّما تَرد أخطاء صرفية أو نحوية على شاكلة ما يَرد عادةً في المحادثة.

4 ـ استخدام مقنن لوحدات المعنى في نسق لوجستيكي يتوافق مع الهدف من الكتابة.

5 ـ أما من حيث استخدام المفردات فإن الكتابة تمتاز باستخدام أشمل للأسماء بأنواعها والصفات بأنواعها على حساب الأفعال وملحقاتها.

على حين تمتاز المحادثة بما يلي:

1 ـ استخدام أشمل لكل ما سهل لفظه صوتًا وصرفًا، وتيسر فهم معناه دون تكلف، وشاع استخدامه من الألفاظ والتراكيب.

2 ـ استخدام غير منضبط للأصول الصرفية والنحوية.

3 ـ استخدام أشمل لأسلوب التكرار بين وحدات المعنى، حيث عادةً ما يعود المتحدث لما تم ذكره سابقًا بغية إثراء المعنى أو تأكيده.

4 ـ استخدام أشمل لأسلوب الخطاب المباشر واستخدام المفردات والعبارات التي تحقق ذلك.

5 ـ المرونة في التكيف مع المحيط اللغوي (الصوتي) والزماني والمكاني للحديث، والتجاوب الفوري مع ما تُمليه معطيات هذا المحيط، وذلك بإتيان سلوكيات لغوية وغير لغوية بغية تحقيق الهدف المقصود.

لا يفوتنا في هذا السياق التأكيد على أن المحادثة من حيث هي سلوك ذهني تعتمد على الذاكرة البنائية والتفكير الواقعي (غير المجرد)، والحديث عادةً ما يعتمد اعتمادًا شبه مطلق على العوامل الآنية. وعلى خلاف ذلك نجد أن الكتابة من حيث هي سلوك ذهني فإنها تعتمد على - ويكون ناتجًا لها - ذاكرة النص والتفكير المجرد والمنظم. وعادةً ما يكون النص المكتوب مستقلاً وغير قريني (ذا ارتباط غير وثيق بأية قرينة آنية)، لذلك نجد أن الثقافة المكتوبة قادرة على خلق أنماط معينة من التفكير والتذكر قد لا تتوافر في الثقافة الشفهية.

المحيط الكتابي

تنشأ النصوص المكتوبة ــ حالها في ذلك حال نصوص الأحاديث ــ في محيط لغوي وثقافي معين، يضم فيما بين عناصره أعرافًا وتقاليد تنظم العلاقة بين طرفي النص من جهة، وبين كل منهما على حدة أو كليهما مجتمعين وبين بقية عناصر المحيط الكتابي، وتشكل هذه الأعراف والتقاليد أنساقًا وقواعد لغوية وثقافية تنظم السلوك الكتابي. ومن هنا ذهب جماعة من اللغويين المشتغلين بعلم اللغة الاجتماعي إلى تعريف السلوك الكتابي على أنه يجمع بين صناعة المعنى (meaning-making) وصناعة النص (text-producing). هذه المعادلة تشترط للسلوك الكتابي توافر عاملين، أولهما تلك الخيارات اللغوية والثقافية ــ في المحيط المحلي ــ التي تخدم المعنى الـمُراد تضمينه في الرسالة البلاغية المكتوبة، وثانيهما تلك الأساليب المتعارفة ــ في محيط أوسع ــ والمتوقعة بين جمهور القرّاء، والتي عادةً ما تحدد محيطًا عامًا يتم من خلاله تنسيق محتويات النص وتنظيمها بشكل يضمن إيصال المعنى البلاغي المقصود والمتوافق مع توقعات متلقي النص.

وغالبًا ما ينتقي الكاتب - خصوصًا عند الكتابة التخصصية - من بين تلك الخيارات اللغوية والأسلوبية والثقافية ما يمكنه من تدوين المعنى المُراد تضمينه في الرسالة البلاغية (موضوع الكتابة) ويكون في هذه الحالة خاضعًا لمعطيات محيط الكتابة المحلي، وحتى تلائم الرسالة البلاغية توقعات القارئ لابد للكاتب أن يأخذ بمعايير أخرى - يُمليها محيط كتابي يتعدى حدود الإقليم الجغرافي واللغوي للكاتب - وينتقي منها سلوكيات كتابية تؤهله في النهاية إلى إيصال المعنى المقصود إلى متلقي النص. ومن نافلة القول هنا أن المحيط الكتابي يشكِّل في حد ذاته محيطًا لغويًا وثقافيًا

مصغَّرًا ـ إذا ما قورن بالمحيط العام ـ ويُملي على أفراده سلوكيات كتابية محددة تميزهم عن باقي المجتمعات الكتابية. نخلص هنا إلى أن للسلوك الكتابي محيطين أحدهما عام (universal) يتحدد من خلاله الإطار العام للنسق الكتابي، وآخر خاص أو محلي (local) تحدده السلوكيات الكتابية في المجتمع المحلي للاتصال ويكون ذا دور مكمِّل للمحيط العام.

وفيما يتعلّق بالاختلافات البلاغية عبر الثقافات غير المتجانسة فإن جمهوراً من الباحثين في علم اللغة الاجتماعي ـ وفي مقدمتهم كابلن Kaplan, 1988 [7] ـ يميلون إلى تغليب دور المحيط الكتابي الخاص على العام، بحيث خلص كابلن إلى أن الاختلافات البلاغية عبر الثقافات غير المتجانسة تعود إلى فوارق في النسق الكتابي وفي تسلسل المحتوى وترتيبه، وقبول الرسالة البلاغية المكتوبة من عدمه يعود بالدرجة الأولى إلى عوامل ثقافية أكثر منها لغوية [8].

الكتابة كسلوك اتصالي

يسود اعتقاد عام بأن الكتابة هي مجرد عملية نقل للأفكار والمعلومات من الكاتب إلى القارئ، على الرغم من أن هذا الاعتقاد يبدو مقنعًا في ظاهره، إلا أن تساؤلات عديدة تدور حوله. ملخص هذا الاعتقاد التقليدي هو أن الكاتب يقوم بتدوين الأفكار والمعلومات على الورق أو أية وسيلة أخرى لنقل الرسالة المكتوبة، ومن ثم يأتي دور القارئ في استنباط ـ أو استرجاع ـ الأفكار والمعلومات من النص المكتوب. فلو افترضنا ـ وهذا مجرد افتراض ـ أن وسائط نقل الأفكار والمعلومات من مخيلة الكاتب إلى مخيلة القارئ لا تشوبها شائبة، فعندها ـ وعندها فقط ـ يصح الاعتقاد بأن الكتابة هي وسيلة نقل الأفكار من مخيلة الكاتب إلى مخيلة القارئ. للتحقق من ذلك سنُمعن النظر في أمرين مهمين، أحدهما خاص بمرسل النص الكتابي (الكاتب) والآخر خاصَ بمتلقي النص الكتابي (القارئ). وفيما بين الكاتب والقارئ تأتي الرسالة التي هي محور ارتكاز الاتصال الكتابي وذات أهمية قصوى في تحديد منظومة السلوكيات الكتابية لكل من الكاتب والقارئ.

أما فيما يتعلّق بالكاتب فإنه من الصعوبة بمكان الفصل بين ما يدور في خَلده أو المتوافر لديه من أفكار ومعلومات تُمْليها عليه ضرورة الإجابة على السؤال البلاغي

موضوع الكتابة وبين السلوكيات الكتابية التي يُمْليها كل من المحيط الكتابي الخاص والمحيط الكتابي العام. فلو دارت ثلاثة من الأفكار مثلاً في خَلَد كاتب ما فإنه قد ينتهي به الأمر إلى تدوين فكرتين أو أربع أفكار أو أقل أو أكثر حسبما تقتضيه ضرورة التعامل مع مفردات النص من ألفاظ وتراكيب وعبارات من جهة، ومن تداعيات سيمانتيكية وبراغماتيكية (مفردات التعامل مع وحدات المعنى) شديدة الصلة بتدوين المعلومات ورسم الأفكار على الورق من جهة أخرى، بالإضافة إلى ما يُمْليه المحيط الكتابي من معطيات تحدد في مجملها الأفكار والمعلومات والأساليب والسلوكيات التي يتوجب على الكاتب الأخذ بها أو تلك التي لابد له من الإعراض عنها. ولا يفوتنا هنا التأكيد على أن المحيط الكتابي لا يتحدد بأساليب ثقافية ولغوية متعارف عليها فحسب، بل إنه يضم بالإضافة إلى ذلك خصائص لغوية وأخرى ثقافية خاصة بالمجتمع اللغوي الذي يتم من خلاله الاتصال.

وأما من حيث القارئ فإن دوره لا يقتصر على التلقي المباشر لما يحويه النص من معلومات وأفكار، وقد يتعدى ذلك ـ وغالبًا ما يحدث ـ إلى قراءة ما يُطلَق عليه تجاوزًا «ما بين السطور»، ولكي يُدرك القارى ما يعرضه النص ضمنًا أو صراحةً من أفكار يتوجب عليه أن يلم ـ مستخدمًا خبراته اللغوية والثقافية ـ بالأبعاد السيمانتيكية والبراغماتيكية لما يحتويه النص من معلومات تتعدى تلك التي تحملها صراحة الألفاظ والعبارات، بالإضافة إلى الأبعاد البلاغية للنص التي من ضمنها مجيء النص على هذه الشاكلة، وما ينمّ عنه تسلسل أفكاره وتدرجها بالشكل الذي جاءت عليه، ومتى ولماذا رغب الكاتب في التصريح أو التلميح بمعلومة أو فكرة ما.

وتُمْلي علاقة التبادل بين الكاتب والقارئ ضوابط منظمة للسلوك الكتابي لا تتوقف عند حدود عملية الكتابة نفسها، بل تتعدى ذلك لتشمل الأخذ بعين الاعتبار الكيفية التي يمكن أن تتم عليها قراءة النص وفهمه. وهذا البُعد يوجب على الكاتب أن يحمل تصورًا محددًا لمن هو القارئ وبالتالي مخاطبته من خلال النص. فكاتب الرسالة التجارية مثلاً قد يتصور القارئ على أنه ملم بمعنى «معدل الربح الطبيعي» دون تعريفه أو الخوض في تفاصيله، على حين أن كاتب القصيدة الغزلية يتصور قارئًا ذا إحساس وجداني مميز، على خلاف القائد العسكري الذي يكتب أمرًا عسكريا للجنود

متصوراً له التنفيذ دونما تردد، وقد نجد كتابات يتطلب فهم فحواها إعادة قراءتها أكثر من مرة، وكتابات أخرى غير يسيرة الفهم حتى لو تكررت مرات القراءة، وذلك لأن الكاتب لم يأخذ بالاعتبار ـ عن جهل أو عمد ـ هوية قارئها. ومعنى هذا أن علاقة الكاتب بالقارئ تُمْلي شروطًا وضوابط منظمة للسلوك الكتابي من أبرزها الإجابة على:

- هل المحيط العام والخاص للنص يتفقان والغاية البلاغية التي يُراد له أن يخدمها؟
- إلى أي مدى يمكن لهذا النص إحداث التأثير (المعنى) المقصود على متلقي النص؟
- هل الأبعاد الثقافية والبلاغية للنص متناسقة ومتكاملة بشكل يحقق الاتصال الكتابي؟
- ما مدى سلامة التراكيب الصرفية والنحوية للنص لتخدم الهدف من الكتابة بشكل أفضل؟

الكتابة والمحادثة كسلوكيات اتصالية

لا يمكننا بالطبع فهم الكتابة كسلوك تواصلي إلا عندما ندرك مدى علاقتها بباقي السلوكيات اللغوية التي تحقق ـ في مجموعها ـ دوراً تكاملياً يلبي الحاجة من استخدام اللغة، ألا وهو الاتصال بين أفراد المجتمع اللغوي. وباعتبار أن المحادثة من أقرب السلوكيات اللغوية التواصلية إلى الكتابة، لذلك يمكننا إلقاء المزيد من الضوء على السلوك الكتابي عن طريق مقابلته بالمحادثة، ومع أننا تطرقنا لمثل هذه المقارنة بشكل أكثر توسعًا في مطلع هذه الدراسة إلا أن أوجه المقارنة هنا سوف تنحصر في إيضاح: (1) أن الكتابة والمحادثة وسيلتان للاتصال اللغوي، و(2) أن الكتابة والمحادثة سلوكيات لغوية غير متجانسة. وفيما يلي أبرز السلوكيات اللغوية والاتصالية موضع المقابلة:

1 ـ الاتصال: يكون الشخص المتحدث مهيأ لأن يُسأل ويَسأل أثناء المحادثة لإيضاح ما قد لا يكون واضحًا في سياق الحديث، أما الكاتب فعليه التأكد من أن الرسالة المكتوبة واضحة دون ما حاجة إلى مثل هذا التفاعل الآني مع القارئ.

2 ـ المشاركة: عادةً ما تكون المحادثة بين شخصين أو أكثر يتجاذب كل منهم أطراف

الحديث تارةً كمتحدث وأخرى كمستمع، أما الكتابة فإنها عادةً ما تأتي في اتجاه واحد تبدأ من الكاتب مرسلاً، وتنتهي عند القارئ مستقبلاً.

3 ـ النبر والترقيم: يعتبر النبر جزءاً لا يتجزأ من اللغة المنطوقة، وذلك لحاجة المتحدث لاستخدام مؤثرات لغوية صوتية بغية إحداث التأثير السيمانتيكي والبراغماتيكي الـمُراد على المستمع والذي يخدم بدوره المعنى المقصود من وراء الرسالة الصوتية. مثل هذه المؤثرات الصوتية لا يمكن الاستعانة بها أثناء الكتابة وإنما يستعين الكاتب بأدوات كتابية أخرى كالترقيم ولكنها عادةً لا ترقى إلى الإتيان بالتأثيرات السيمانتيكية والبراغماتيكية المنشودة إذا ما قورنت بالمؤثرات الصوتية.

4 ـ المؤثرات المكانية: يستخدم المتحدث عادةً تعبيرات الوجه وتحريك اليدين أو أجزاء أخرى من الجسد أو استخدام مؤثرات آنية متوافرة في مكان المحادثة، وذلك بهدف إثراء المعنى المُراد التعبير عنه، وهذه المؤثرات المكانية الآنية غير متوافرة للكاتب أثناء الكتابة، ولا للقارئ أثناء القراءة.

5 ـ المؤثرات الزمانية: لا تخلو المحادثة عادةً من مفردات مثل «.. الآن..» أو «.. بعد قليل..» وما إلى ذلك من مفردات تحديد الميقات الزمني، وفي المقابل لابد للكاتب أن يتنبه إلى أن ما يكتبه سوف يُقرأ في وقت لاحق لا يمكنه تحديده بدقة.

6 ـ الخبرة المشتركة: يسهل على المشاركين في الحديث أن يتبادلوا المعلومات والخبرات والآراء، سواء ما توافر منها في زمان المحادثة ومكانها، أو ما كان سابقًا لها مما قد يوفر لواحد منهم ـ أو أكثر ـ معلومات وآراء يكون في استدراكها خلق جو من التجانس والتوافق في الخبرات بين المتحدثين، مما يحقق في النهاية إثراء المعنى المنشود. ويختلف الحال عنه في أثناء الكتابة حيث يجد الكاتب نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما، فإما أن يفترض الخبرة المشتركة مع القارئ وإما أن يقوم بالتصريح بها، وغالبًا ما يلجأ كثير من الكتّاب إلى الافتراض الأول، على اعتبار أن المعلومات الأولية للرسالة المكتوبة متوافرة في محيطها العام أو الخاص.

أنواع الكتابة

يمكن تقسيم الكتابة باعتبارها سلوكًا لغويًا إلى مجموعات متجانسة من الأنماط الكتابية مثل:

1 ـ الكتابة الإملائية

2 ـ الكتابة التقريرية (التسجيلية)

3 ـ الكتابة الإبداعية

ومع أن هذه الأنماط الكتابية تنقسم بدورها إلى مجموعات أخرى أكثر تفصيلاً من حيث دوافع الكتابة ومتطلبات المحيط الكتابي إلا أن هذا تقسيم أولي يراعي المقومات الأساسية للسلوك الكتابي، من حيث العلاقة التي تربط الكاتب بمحتوى النص، بالإضافة إلى تلك العوامل اللغوية والثقافية ذات التأثير المباشر على كل من الكاتب ورسالة النص ومتلقي النص.

الكتابة الإملائية: هي العملية الكتابية التي يقوم من خلالها الكاتب بتدوين معلومات وبيانات محددة حسب نسق كتابي محدد، ويكون للكاتب في الغالب دور آلي لا يتعدى اتباع ما يُمْليه النسق الكتابي.

ومن أمثلة ذلك (1) تدوين بيانات شخصية كالاسم والعنوان ومكان الميلاد وتاريخه في استمارة سبق إعدادها، أو (2) إعداد قائمة مشتريات، أو (3) تدوين بيانات ومعلومات تُمْلى على الكاتب من مصدر خارجي، أو (4) إجراء بعض الترجمات القصيرة، مثل ترجمة الإرشادات على علبة الدواء التي لا تتطلب تدخلاً من المترجم يتعدى المطابقة اللغوية لمفردات النص. هذا النوع من الكتابة ـ الإملائية ـ يشتمل على أنساق أخرى عديدة من العمليات الكتابية تزيد كثيرًا عمّا ذُكر هنا، كما أنه يعتبر من أكثر أنواع الكتابة شيوعًا كمًّا وكيفًا.

الكتابة التقريرية (التسجيلية): هي العملية الكتابية التي تمنح الكاتب حرية نسبية في اختيار محتوى رسالة النص، إلا أنه يتوجب عليه الالتزام بالأنساق الكتابية المُتعارَف عليها لغويًا وثقافيًا في المحيط الكتابي المحلي والمحيط الكتابي العام، وتتسع مساحة الحرية الممنوحة للكاتب هنا طبقًا لما يُمْليه النسق الكتابي، وتتناسب طرديا مع بعدها عن الإملائية. ومن أمثلة هذه الكتابة ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

(1) كتابة الرسائل الشخصية وكتابة التعميمات والخطابات الرسمية، (2) الكتابات التوثيقية مثل تدوين المعلومات في السجلات الطبية، وتدوين نتائج الأبحاث والاستبانات ونتائج التجارب المختبرية، (3) الكتابة العلمية وخاصة في مجال العلوم الاجتماعية. ومع أن المحيط الكتابي في كل فرع من فروع العلوم الاجتماعية ـ وكذلك الحال في باقي العلوم ـ محدد سلفًا إلا أن المحتوى هو من ابتداع الكاتب نفسه، (4) الكتابة الصحفية التي تشمل رصدًا للأحداث وتدوينًا للأخبار وتعليقات المحرر الصحفي حولها. وتجدر الإشارة هنا إلى نوع فريد من الكتابة يملأ حيِّزًا ليس بالقليل من الصحيفة اليومية، ألا وهو الإعلانات التجارية وغير التجارية، المبوب منها وغير المبوب. ويتنوع حجم كتابة الإعلانات وأسلوبها بين الكتابة المباشرة باستخدام الألفاظ والعبارات مثل إعلان الدعوات أو التعزية وما إلى ذلك، أو الكتابة غير المباشرة عن طريق استخدام خليط من الألفاظ والرموز والأرقام والرسوم والصور، مثل الإعلان عن منتج أو افتتاح محل تجاري جديد أو إعلان تخفيضات، وهكذا.. ويمكن تعريف هذه الأنماط تارةً بأنها كتابة إملائية من حيث الدور الذي يقوم به الكاتب من اتباع نسق محدد وتدوين بيانات محددة، وتارةً أخرى بأنها كتابة تسجيلية باعتبار أن الكاتب هو الذي يقرر محتوى رسالة النص مع التزامه بالنسق العام لمثل هذه الكتابات. وتأتي الكتابة التسجيلية في المرتبة الثانية من حيث حجم الأنساق الكتابية التي تندرج تحتها، ومن حيث الشيوع وأعداد القائمين بمثل هذه الكتابات.

الكتابة الإبداعية: هي تلك العملية الكتابية التي يقوم من خلالها الكاتب باختيار محتوى رسالة النص بما يتلاءم وقدرته الإبداعية، كما أنها تمنح الكاتب أيضًا حرية نسبية في اختيار النسق الكتابي الذي يحقق الهدف من الكتابة، وخير مثال على ذلك الكتابات الأدبية مثل القصة والشعر والمسرحية وما إلى ذلك. وهذا النمط الكتابي بالطبع أقل الأنماط السابقة شيوعًا من حيث عدد أنساقه الكتابية، وكذلك من حيث عدد المشتغلين بالكتابات الإبداعية (سوف نعود لتبيان علاقة الكتابة بالإبداع لاحقًا).

لابدّ من الإشارة هنا إلى أن التصنيفات الآنفة الذكر للكتابة تعتمد على تنوع دور الكاتب ومدى تفاعله في رسم الرسالة الـمُراد إيصالها للقارئ. وبما أن اللغة وسيلة اتصال، أركانها كل من المرسل والرسالة والمتلقي، فإنه من الملاحَظ أن هذه

التصنيفات لا توازن بين هذه الأركان، كما يتضح أنها لا تبرز الدور الاتصالي لكل من الرسالة والمتلقي. لذلك فإنه بالإمكان إعادة تصنيف الكتابة، فيُقال هناك كتابة تجارية وأخرى أدبية وثالثة علمية وما إلى ذلك من المسميات التي تتخذ من محتوى رسالة النص المكتوب مسميات تصف من خلالها أنماطًا كتابية. أما من حيث حجم الرسالة فيُقال هناك كتابة مختصرة وأخرى مطوّلة أو ما إلى ذلك. ومن حيث دور المستقبل فبالإمكان القول مثلاً إن هناك كتابة إخبارية وأخرى استعلامية (استفهامية) بحيث يكون دور القارئ سلبيًا في الأولى ـ تلقي الخبر ـ بينما يكون دوره في الثانية أكثر إيجابية بحيث يتوجب عليه التفاعل مع محتوى الرسالة بالرد على ما هو مطلوب إليه.

ومع إمكانية تعدد تصنيفات الكتابة وتنوعها إلى أكثر مما ذُكر هنا، إلا أن أبلغها وأقربها إلى تحديد ماهية العملية الكتابية هي تلك التي تأخذ بدور المرسل كأساس للسلوك الكتابي، وذلك باعتبار أن الكتابة تبدأ بفكرة أو معلومة تجيب على تساؤل بلاغي وتنتهي بسلوك لغوي وثقافي يقوم به الكاتب، ويتم من خلاله صياغة رسالة النص، وتحديد كيفية استقبالها، وبالتالي صياغة المعنى اللغوي والثقافي المُراد للقارئ أن يفهمه.

أهم مراحل تطور السلوك الكتابي

تبدأ الكتابة منذ اللحظات الأولى للتداعي البلاغي ولنشأة فكرة الكتابة، وتمر بمراحل تطور يسلك خلالها الكاتب سلوكًا يُعرَف بالسلوك الكتابي، حتى ينتهي الأمر بخروج نص مكتوب. وليس من السهل فصل مراحل تطور السلوك الكتابي لا عن مراحل تطور بقية السلوكيات اللغوية الأخرى، ولا عن مراحل تطور الخبرات الثقافية واكتسابها. وسوف نوجز أهم مراحل تطور السلوك الكتابي فيما يلي:

1 ـ نشأة فكرة الكتابة وتطورها

لا يوجد نص مكتوب دون أن يحمل معلومة أو يدل على فكرة ما، لذلك يعتقد كثير من البلاغيين أن الكتابة تبدأ عندما تداهم فكرة أو معلومة ما مخيلة الكاتب، وهو ما يُطلَق عليه التداعي البلاغي، لذلك نجد أن الكثير من الكتّاب المتمرسين يبادرون عند تداعي السؤال البلاغي إلى تدوين جميع المعلومات والأفكار الأولية، صغيرها

وكبيرها، عامها وخاصها، ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالموضوع. وبالطبع لن تكون هذه المعلومات والأفكار مرتبة ولا ذات تناسق محدد في البداية، وهذا أمر طبيعي، لأن ما يتبادر لذهن الكاتب في البداية يكون عبارةً عن مجموعة من المعلومات والأفكار يجر بعضها بعضًا دون ما نسق محدد. وتمنح هذه المرحلة الكاتب مزيدًا من التحكم بالمادة الخام من أفكار ومعلومات ذات صلة بموضوع الكتابة ويجد نفسه:

1 ـ يتأمل بحرية مطلقة ووقت كاف العلاقات التي قد تربط بين أفكار الموضوع.

2 ـ يبحث بتأن فيما قد يتوافر لديه من معلومات قد تساعده على تدعيم فكرة ما أو الاستغناء عن أخرى.

3 ـ يشرع ـ بعد مرحلة تفحص العلاقات والمعلومات ـ في ترتيب الأفكار ذات الصلة بشكل تسلسلي حسب ما تقتضيه أهمية الإجابة على السؤال البلاغي، وتحقيقًا لذلك قد يلجأ إلى التدرج من الفكرة الرئيسة إلى الثانوية، أو التسلسل من الأفكار ذات الصلة المباشرة بالموضوع إلى الأقل علاقة وهكذا.

ولابدّ هنا من التأكيد على أهمية مرحلة تدوين الأفكار، حيث غالبًا ما تظهر في النص المكتوب أفكار جديدة لم تكن في الأصل بين الأفكار الأولية، وقد تختفي أفكار تم تدوينها خلال هذه المرحلة، ويتم ذلك عندما يقوم الكاتب خلال هذه المرحلة بتجريب أكثر من أسلوب في ترتيب أفكار الموضوع، فتارةً يتدرج من الأفكار والمعلومات ذات الصلة المباشرة إلى الأقل أهمية، وأخرى ينتقل خلالها من الفكرة الرئيسة إلى الثانوية، وثالثة يأتي من خلالها على نظم مجموعة متجانسة من الأفكار والمعلومات في محور مستقل بذاته (انظر مرحلة مراجعة النص لاحقًا). وسواء سَلَكَ الكاتب هذه الطريقة أو تلك فإنه في النهاية يهدف إلى بناء عناصر موضوع الكتابة.

2 ـ مراحل إخراج النص

ترد أفكار الموضوع في بداية الأمر بحسب مقتضيات التداعي البلاغي، وبالطبع فإنها لا تأخذ بعين الاعتبار أيًا من الأبعاد اللغوية أو الثقافية ذات العلاقة المباشرة في إخراج النص. وعندما تتطور الأفكار وتتبلور عناصر الموضوع تبدأ محاولات الكاتب لإخضاع التراكيب اللغوية والأنماط الثقافية لخدمة مقتضيات بناء النص. ومن المعروف

أن المفردات والعبارات والـجُمَل تحكمها قواعد صرفية تنظم العلاقة فيما بينها كعلاقة الصفة بالموصوف والفعل بالفاعل والمفعول، وقواعد نحوية تحكم نظم الـجُمَل وأشباه الـجُمَل والظروف، بالإضافة إلى تلك العلاقات البلاغية الأكثر تعقيدًا على المستوى السيمانتيكي والبراغماتيكي للنص. لذلك نجد أن الكاتب يتفاعل مع ما يتوافر لديه من حصيلة لغوية، محاولاً تسخير النظم القواعدية لخدمة أفكار الموضوع وعناصره ومن ثم بناء النص.

ولا يتفاعل الكاتب مع إخراج النص مرة واحدة بل يتوزع هذا التفاعل على عدة مراحل، تبدأ بمرحلة انتقاء المفردات اللغوية، ومروراً بنظم التركيب والـجُمَل، وخلالهما يختار الكتاب من بين محصلته اللغوية ما يمكنه من تدوين المفردات والتراكيب التي تلائم المعنى. بعد هذه المرحلة يأتي دور بناء الفقرات المتكاملة، والتي يتوجَّب أن تشكِّل كل منها كيانًا مستقلاً من حيث ترتيب المعلومات وتسلسل الأفكار. ويواجه الكاتب خلال هذه المرحلة الأخيرة أمرين مهمين: أولهما تكاملية المعنى الخاص بكل فقرة، وثانيهما التنسيق بين هذه الفقرات والتأكد من تحقق علاقات تتابعية ولوجستيكية بين وحدات المعنى، بشكل ينتهي إلى موضوع أفكاره متسلسلة ومتناسقة، ومعلوماته متكاملة ومن ثم يصبح يسير الفهم على القارئ. وتبرز جليا خلال هذه المرحلة الأخيرة أهمية: (1) المحصلة اللغوية والثقافية للكاتب، و(2) العلاَّقة الاتصالية بين الكاتب والقارئ. وبقدر ما تأتي وحدات المعنى متماسكة ومتناسقة لوجستيكيًا في سياق لغوي وثقافي يخدم الغرض البلاغي من الكتابة تكون جسرًا للاتصال اللغوي يتمكن من خلاله الكاتب من الاتصال بالقارئ. أما إن جاءت وحدات المعنى مفككة لغويًا أو ثقافيًا، فإنها بالطبع سوف تؤثر سلبًا على تلك العلاقة التي تربط القارئ بالكاتب، وباستمرار تفكك وحدات المعنى يستمر معه التأثير السلبي على العلاقة التي تربط بينهما، وقد تنتهي بالانفصال ويبقى النص سوادًا على بياض.

ينمو النص الكتابي باتجاهين: أحدهما رأسي ـ أو بنائي ـ والآخر أفقي يتحدد من خلالها ملاءمة الأسلوب للغرض البلاغي من الكتابة. ومع أن عناصر بناء النص الرأسية والأفقية متداخلة بشكل تكاملي إلا أنها تعنى بأجزاء من النص يمكن تسميتها بوضوح، فعناصر البناء الرأسي هي المفردات والتراكيب والـجُمَل والفقرات، أما البناء

الأفقي فإنه يُعنى بتلك الخيارات الأسلوبية التي يسلكها الكاتب خلال مراحل نمو النص المُختلفة، من اختيار أسلوب السؤال تارةً والإجابة تارةً أخرى، أو الإيضاح عن طريق الاستعانة بالأرقام أو الرموز أو الجداول، أو استخدام أساليب التلميح أو التصريح تارةً أو الاستنكار تارةً أخرى، وما إلى ذلك من الأساليب والوسائل الكتابية التي يجيدها الكاتب وتكون مجازة في محيط الكتابة المحلي أو العام أو كليهما.

3 ـ مراجعة النص

تعتبر المراجعة من المراحل المهمة في بناء النص الكتابي وإخراجه. مع أن ذكر المراجعة وأنواعها ودور المدقق سوف يرد تكرارًا في مواقع متفرقة من هذه الدراسة، والسبب في ذلك يرجع إلى الأهمية القصوى التي تؤديها المراجعة بأنواعها في ضمان إخراج نص خال من الثلمات والهنات، بالإضافة إلى أنها ملازمة لأكثر من سلوك كتابي. وثمة نوعان من المراجعة (أ) المراجعة المستمرة (constant monitoring) و(ب) المراجعة النهائية (editing/revising). ومع أن كلا منهما يمثل سلوكاً كتابيًّا منفصلاً بحد ذاته إلا أنهما معاً يؤديان دوراً تكامليًّا في الوصول بالنص إلى أقرب نقطة من الكمال.

والنوع الأول من المراجعة هي التي يقوم بها الكاتب خلال وقفات قصيرة تتخلل مراحل بناء النص، بحيث تشمل مراجعة لغوية لما تم تدوينه من مفردات وتراكيب لغوية، وكذلك مراجعة بنيوية لأفكار الموضوع ومعلوماته على حد سواء، ويطلق على هذا النوع «المراجعة المستمرة» أو «مراحل الضبط المستمرة»، وتكون ديناميكية طوال مراحل بناء النص.

أما النوع الآخر من المراجعة فهي المراجعة النهائية التي تمثل المرحلة الأخيرة من مراحل بناء النص. ومع أن الكاتب – أو من ينوب عنه – يقوم بالمراجعة النهائية بعد اكتمال الأركان الأساسية للنص، فهي تعني بجميع أجزاء البناء الأفقي والبناء الرأسي للنص، وتشمل كذلك المراجعة اللغوية والمراجعة البنيوية لأفكار الموضوع ومعلوماته، إلاّ أن للتقويم اللغوي حظًّا أوفر عند المراجعة النهائية للنص، ومن أهم مراحل المراجعة النهائية مايلي:–

1 - قيام الكاتب عند المراجعة النهائية للنص بالاستغناء عن المفردات والجمل والتراكيب الزائدة عن الحاجة البلاغية، أو أن يستبدل بها تلك المفردات والتراكيب التي تحقق الهدف البلاغي بشكل أفضل. كما يقوم الكاتب أو المدقق بالتحقيق اللغوي للنص صرفاً ونحواً.

2 - وفيما يختص ببناء الفقرات يقوم الكاتب عند المراجعة النهائية للنص بتجزئة الفقرات الطويلة ذات الأفكار المتشعبة إلى أخرى أقصر وذات معلومات وأفكار متجانسة ومتماسكة.

3 - أما فيما يختص بالبناء التكاملي للنص فيقوم الكاتب عند المراجعة النهائية بتهذيب أجزاء النص، عن طريق حذف الزائد منها عن الحاجة البلاغية، أو ضم الأجزاء المتشابهة تحاشياً للتكرار غير المحبب، ويكون الكاتب في هذه الحالة قد تحقق من ترابط أجزاء النص بشكل يتوافق مع المحيط الكتابي المحلي والعام.

الكتابة والإبداع والنقد

لا يمكن لأحد إتقان الكتابة المتميزة حتى يكون قادراً على التقييم والتقويم، وبالطبع على القبول أو الرفض، فعندما يختار الكاتب أحد الألفاظ أو التراكيب أو الأفكار فإنه في الوقت نفسه قد أعرض عن ألفاظ أو تراكيب أو أفكار أخرى كان بالإمكان اختيارها، ويكون بذلك قد مارس التقييم (النقد) والتقويم (الإبداع) لما يتناسب والحاجة البلاغية لموضوع الكتابة، لذلك يمكننا التأكيد على أن الإبداع والنقد وجهان لعملة واحدة اسمها الكتابة المتميزة.

للدلالة على ذلك دعونا نتأمل أهم المشكلات التي تواجه الكاتب غير المتمرس أثناء أدائه الكتابي، وبالتحديد تلك اللحظات التي يكون خلالها الكاتب في مواجهة غير متكافئة للإبقاء على التوازن الطبيعي بين الإبداع والنقد. فلو غلبت على الكاتب غير المتمرس ملكة الإبداع اللغوي فإنه غالباً ما يأتي على كتابة مفردات براقة وتراكيب منمقة على حساب البناء الأفقي للنص، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية إلى خروج نص يسير القراءة ولكنه فضفاض أو ركيك المعني، بحيث يصعب على القارئ فهم رسالة النص لضحالتها أو عدم تجانس ما ورد بها من أفكار أو معلومات. أما إن غلبت

على الكاتب غير المتمرس ملكته النقدية فإنه غالباً ما يأتي بكتابة مقتضبة لدرجة غير صحية، وذلك عائد إلى أن الكاتب يعيش حينئذ حالة من النقد المفرط لأدق المفردات والتراكيب لدرجة يفقد معها النص الجمال اللغوي المطلوب، كما أنه مارس أيضاً الانتقاد الزائد عن الحد لأدق جزئيات الأفكار والمعلومات لدرجة قد تظهرها مبتورة وناقصة. ولهذا لا غرو أن تكون حالة اللاتوازن بين الإبداعية والنقد من أهم معوقات الكتابة ومن أكثرها شيوعاً، لدرجة اعتقد معها الجمهور بأن الكتابة صعبة – وهي بالطبع كذلك – إلاّ أنهم قلة أولئك الذين يجيدون الموازنة بين ملكتي الإبداع والنقد.

وعودة مرة أخرى إلى تفسير الأشياء بأضدادها دعونا نتساءل هل النقد سلوك كتابي منفصل عن باقي سلوكيات الكتابة؟ الإجابة على هذا السؤال تقودنا إلى إمعان النظر بالممارسة الكتابية التي يقوم بها المدقق (المراجع) (editor). يعتبر المدقق ناقداً، ذلك لأن مهمته تقييم النص لغة وأسلوباً، بالإضافة إلى مطابقته للمحيط الكتابي المحلي والعام وتقويمه ليتطابق مع ما هو مألوف لغويًّا وثقافيًّا. وبالطبع لا بد أن يكون المدقق ذا خبرة أشمل من كاتب النص خصوصاً في السلوكيات البلاغية للمحيط اللغوي والثقافي لموضوع الكتابة، ولهذا السبب نجد أن هناك متخصصاً في مراجعة الكتابات الأدبية، ومن هو متخصص في مراجعة الكتابات العلمية، والثالث المتخصص في مراجعة الكتابات القانونية وهكذا، ومع أن المدقق يضطر أحياناً إلى إعادة صياغة أجزاء متفرقة من النص، إلا أن إسهامه لا تتعدى حدود التقييم والتقويم اللغويين، أما ما يحمله النص من أفكار ومعلومات فهي من مسئولية الكاتب.

الأداء الكتابي المتميز

إذا حاولنا قياس مستوى الكفاءة في الأداء الكتابي تبين لنا جليّاً أن الكاتب المتميز هو من يقوم بالممارسات التالية[9]:

(1) يقوم الكاتب المتميز بالإعداد الكافي والمسبق لما يراد كتابته، ويضع خطة مفصلة للكتابة تضم الأفكار والمعلومات وتنسيقها لوجستيكيًّا لتخدم الغرض البلاغي، بالإضافة إلى التحديد المسبق لأجزاء النص ومكوناته، والنسق الذي سوف يظهر عليه النص.

(2) غالباً ما يتوقف الكاتب المتميز أكثر من مرة أثناء الكتابة، ويعيد قراءة ما سبق تدوينه في محاولة لإعادة ترتيب أفكار الموضوع وتهذيبها في مراحل متفرقة أثناء الأداء الكتابي، وللتحقق من اختيار الألفاظ والتراكيب اللغوية التي تفي بالغرض البلاغي على الوجه الأمثل.

(3) عادة ما يقوم الكاتب المتميز بمراجعة ما تم كتابته - بشكل أكثر من المألوف ولأغراض مختلفة - فتارة تتم المراجعة لتصحيح الأخطاء الإملائية والنحوية، وتارة ثانية لقياس وضبط تسلسل أفكار الموضوع، وتارة ثالثة لمطابقة النسق الكتابي لما هو معهود في المحيطين المحلي والعام.

وتجدر الإشارة إلى أن الكتاب المتميزين يخرجون عادة بعض الشيء عن خطوات الكتابة التقليدية، فمثلاً نجد أنه عادة ما يبدأ الكاتب المتميز بوضع خطة للكتابة، وقد يستغرق وضع هذه الخطة من الوقت والجهد الكثير الذي قد يفوق الوقت والجهد المبذولين في عملية الكتابة نفسها، ثم يشرع بعد ذلك في كتابة جزئية محددة من الموضوع يتوقف بعدها للمراجعة. ومن أبرز ما يميز الكاتب المتميز أنه يقوم بالمراجعة وإعادة ترتيب أفكار الموضوع بشكل دوري ولأكثر من مرة من خلال عملية الكتابة. وخلال هذه المراجعة قد يلجأ الكاتب للإضافة إلى ما تم تدوينه من أفكار ومعلومات، أو يحذف ما زاد منها عن الحاجة البلاغية. وفي أحيان غير قليلة يقوم بإعادة الكتابة بناء على ما جدَّ على أفكار الموضوع وخطة الكتابة من تعديل وتغيير. وتستمر عملية المراجعة هذه وإعادة ترتيب الأفكار والخطة لأكثر من مرة خلال عملية الكتابة، وغالباً ما تنتهي إلى إخراج نص يحتوي على أفكار لم تكن بالأصل ضمن التخطيط المبدئي للموضوع أو قد تم صرف النظر عن بعض ما خطط له، أو جرى استبدالها بأخرى.

الخاتمــــة

العوامل المؤثرة في تحسين مستوى الأداء الكتابي

في رصد قام به كراشن Krashen (1984)[10] لعدد من الدراسات الميدانية التي تناولت العوامل المؤثرة في تحسين مستوى الأداء الكتابي واكتساب مهارات كتابية متقدمة، جاءت هذه النتائج مجتمعة لتبين:-

(1) أن للقراءة الحرة تأثيراً واضحاً ومباشراً في تحسين مستوى الأداء الكتابي واكتساب مهارة كتابية متقدمة، بحيث وجد أن مستوى الأداء الكتابي يتحسن طرديًّا كلما زادت معدلات المطالعة الحرة.

(2) جاءت النتائج متضاربة فيما يتعلق بمدى تأثير التمرين المستمر على الكتابة على تحسين مستوى الأداء في السلوك الكتابي، بحيث أكدته بعض الدراسات ولم تؤكده أخرى. أما عند مقارنة مدى تأثير المران المستمر على الكتابة بمدى التأثير الذي تحدثه المطالعة الحرة على مستوى الأداء في السلوك الكتابي، فقد جاءت النتائج لتؤكد ما للمطالعة الحرة المستمرة من تأثير ايجابي وواضح على تحسين مستوى الأداء في السلوك الكتابي فاق ذلك التأثير الذي يحدثه المران المتكرر على الكتابة.

(3) أكدت نتائج الدراسات على أن هناك مهارات كتابية يمكن تعلمها أكثر من غيرها، وبالتالي يمكنها التأثير ولو بشكل غير مباشر على تحسين مستوى الأداء الكتابي، وهي تلك المهارات المتعلقة بتنظيم أجزاء النص وترتيبها.

(4) أما من حيث تأثير التعليم والتدريب المباشر في تحسين مستوى الأداء الكتابي لدى الدارسين، فقد تبين أن التأثير الأكثر وضوحاً هو عندما يقوم المدرس بإعطاء التوجيهات والإرشادات خلال مراحل عملية الكتابة نفسها على خلاف الطرق التقليدية، بحيث يتم جمع النصوص والتعليق عليها من قبل المدرس في وقت لاحق للكتابة، ثم يطلب إلى الدارسين إعادة الكتابة بناء على ما ورد في الإرشادات والتعليقات المرفقة. وقد جاء في هذه الدراسات أن للطرق التقليدية -التوجيه غير المباشر - تأثيراً هامشيًّا على تحسين مستوى الأداء الكتابي، وأنها غير ذات تأثير في اكتساب مهارات كتابية متقدمة إذا ما قورنت بطرق التوجيه أثناء الكتابة- التوجيه المباشر - حيث وجد أن إعادة الكتابة تلك تكون في الغالب بمثابة كتابة موضوع آخر قد يكون قريباً إلى درجة كبيرة من الموضوع الذي كتب في المرة الأولى. ولقد جاء في بعض الدراسات أن الطريقة التقليدية تساعد على ترسيخ بعض السلوكيات الخاطئة التي قد لا تظهر إلاّ في مراحل متقدمة من السلوك الكتابي.

(5) نفت نتائج الدراسات وجود علاقة بين التركيز على الجوانب الصرفية والنحوية أثناء التدريب على الكتابة وبين تحسين مستوى الأداء في السلوك الكتابي، كما

AJH
98

أكدت النتائج على أن الاستمرار في التركيز على الجوانب الصرفية والنحوية أثناء التدريب على الكتابة قد تكون نتيجته الكتابة بلغة أكثر سلامة من الناحية النحوية ولكنه لا يؤدي بالضرورة إلى تحسين في مستوى الأداء في السلوك الكتابي، ولا ينتج عنه اكتساب مهارات كتابية متقدمة. أما عند مقارنة مدى التأثير الذي يحدثه التركيز على الجوانب الصرفية والنحوية مع مدى التأثير الذي يحدثه التركيز على الاستمرار والاستزادة من المطالعة الحرة تبين أن للأخيرة تأثيراً واضحاً ومميزاً على تحسين مستوى الأداء الكتابي واكتساب مهارات كتابية متقدمة.

الهوامش والمراجع

(1) لا بدّ من التأكيد على أن موضوع هذه الدراسة حديث، ولم يتطرق له سوى عدد محدود من الباحثين الغربيين المعاصرين كما تبين قائمة المراجع اللاحقة، أما المكتبة اللسانية العربية المعاصرة فقد خلت من مثل هذه الدراسات، الأمر الذي حدا بالكاتب لتقديم هذه الدراسة باللغة العربية محاولة منه لتلبية حاجة القارئ العربي. ولا نجد بداً من التأكيد على أنه أثناء البحث في المؤلفات اللسانية العربية الحديثة خلصنا إلى ما خلص إليه قبلنا الدكتور سعد مصلوح (1992) (ص:14-17) من مظاهر النقص في المكتبة اللسانية العربية، ومن بينها:- (1) «اشتمال هذه المكتبة على كم هائل من «المقدمات» أو «المداخل» إلى علم اللغة... وليس أكثرها إلاّ استجابة آنية لمتطلبات المقررات الدراسية في الجامعة، وتلبية آنية لحاجات الطلاب...» (2) «عجز اللسانيات العربية عن أن تعكس خريطة شاملة للمدارس والاتجاهات اللسانية الحديثة...» (3) «إن الترجمات التي صدرت لأعمال لسانية غربية حكمها في كثير من الأحيان طابع الاصطفاء، أو المصادفة، أو إيثار السهولة...». مصلوح، سعد: **الأسلوب: دراسة لغوية إحصائية**، الطبعة الثالثة، القاهرة: عالم الكتب 1992.

(2) - Hayes, J. and Flower, L. "A Cognitive Process Theory of Writing." **College Composition and Communication,** 32:4, 1981, 365-387.

(3) - Crystal, D. **The Cambridge Encyclopedia of Language**. Cambridge University Press, 1987.

(4) - Krashen, S. **Writing: Research. Theory, and Application**. Pergamon Institute of English. Pergamon Press, UK. 1984.

(5) - Ladd, R. and Wetzel, P. "Between Spoken and Writing Style: A Practical Exercise in Syntax Beyound the Sentence." **CUNY Forum,** 41:5, 1979, 684-97.

(6) - Chafe, W. & Tannen, D.. "The Relation Between Written and Spoken Language." **Annual Review of Anthropology,** 16, 1987, 383-107.

(7) - Kaplan, R. "Contrastive Rhetoric and Second Language Learning: Notes Toward a Theory of Contrastive Rhetoric." In: Purves, A. (ed.) **Writing Across Languages and Cultures**. Sage Publications. 1988, PP. 275-304.

(8) - See also Alharbi, L. Communicative' and ' Gopher' forms in cross - cultural communication: analysis in the linguistic and cultural components of business letters. contrastive linguistics, 3. (decemder 98 - january 99). 1997.
AND Alharbi, L. "Rhetorical Transfer Across Cultures: English into Arabic and Arabic into English." **INTERFACE, Journal of Applied Linguistics**, 11.2, 1997, 69-94.

(9) - Sondra, P. "Understanding Composing". **The Journal of the Conference of College Composition and Communication,** 21:4, 1980, 363-369.

(10) انظر: - Krashen, S. 1984.

❋ ❋ ❋